

مجلـــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمـــــة

فصليّـــــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: السابع والسبعون

السنـــة: التاسعة والأَربعون

الموصـــــــــل

١٤٤٠هـــ / ٢٠١٩م

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

الرمز الدولي : ISSN 0378- 2887



آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: السابع والسبعون (نيسان/ أيّار/ حزيران لسنة ٢٠١٩) السنة: التاسعة والأربعون

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد .
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة .

((هيئة التحرير))

المحتويـــــــــات

الاستغراب بين الماضي والحاضر

قراءة في شعر حسان بن ثابت (رضي الله عنه)

أ.م.د.إيمان خليفة حامد*

تأريخ التقديم: ٢٠١٩/١/٢٣ تأريخ القبول: ٢٠١٩/٢/٦

الاستغراب.. توطئة فكرية

يشكل (الاستغراب) منعطفاً مهماً في الحضارة الإسلامية، إذ ظهرت النظرة إلى (الآخر) المتمثل بغير المسلم مع بداية الدعوة الإسلامية منذ أن نادى رسول الله أمين هذه الأمة (ﷺ) وصوت الوحي يردد على مسامعه قول الله عزوجل: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١-٢] فمثّل المسلمون آنذاك جمعا من الغرباء وسط أمم اختلفت في دياناتها والتقت في أهدافها للقضاء على الاسلام الذي بدأ يشكل خطراً على وجود الايديولوجيات الأخرى، التي ما لبثت تنهار أمام الفكر الذي حمله الإسلام.

إنّ تنوع القراءات التي وقفت عند هذا المصطلح بوصفه الرديف المقابل لعلم الاستشراق في محاكاة منطقية واعية لضرورة قراءة الآخر والتعرف عليه تجعلنا أمام حيرة واعية لهذا الكم من الدراسات التي تبنت مفاهيم قد تبدو متناقضة في أحيان كثيرة ولعلنا لا نسعى في هذه القراءة الى اعادة وتكرار ما ردده السابقون علماء وباحثون ومؤرخون، إذ تكفي جولة سريعة في مكتباتنا أو التصفح الواعي لشبكات الانترنت لتجعل أي قارئ منّا يقف عند حدود هذا المصطلح الذي عدّ (علماً) مرادفاً لمصطلح آخر هو بالضرورة وعلى وفق تلك القراءات علم سابق مهّد للاحق، نعني أن الاستشراق بوصفه علماً يبحث في تطلع الغرب نحو مجتمعاتنا وحياتنا وفكرنا سعى الى قراءة الشرق ومهّدت تلك القراءة لعلم الاستغراب الذي عنى بقراءة الغرب والتعرف عليهم (١)، أليست هي لعبة الفكر ولعلها

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل .

(١) ينظر: الاستشراق نشأته وأهدافه، د.محمد علي بن عبدالرحمن الدعيج، الموقع على الانترنت: http://www.alarabiya.net/views.

أحجية غيّرت مسارها بطريقة تبدو مضحكة في مواقف عديدة، فحسبها ثنائية شقت طريقها وسط زحام الحياة لتعلن عن شمولها المتضاد القائم بالضرورة على الإزاحة التي يغيب في مسارها الآخر أو يلتقي في ذلك المسمار فيصبح متسلحاً بسلاح (الأنا)؛ ولأنها قراءة الفكر أو فكر القراءة لذا سأحاول العودة إلى المنطلقات الأولى في فكرنا الإسلامي من غير حاجة إلى ربط قراءة (الاستغراب) بقومية أو جغرافية مكانية أو جعلها صادرة باسم شعوب العالم الثالث التي تتطلع إلى الغرب وتراه ملاذاً آمنا، إذ لم تعد هذه العبارات الرنانة تؤدي دورها التأثيري في مسامع النخبة، من هنا سنقدم لقراءتنا منطلقات غابت عنّا في عجالة القراءة ونؤسس لقراءة فكرية تنطلق من نص (تراثي) أو هكذا يتصوره بعضهم. "ومن المبين أن التاريخ الإسلامي عرف حشدا هائلاً من القراءات، فمثله بمذاهب وفرق وأحزاب وتيارات ونظريات؛ وما زال الأمر كذلك، بل هو الآن في المرحلة المعاصرة، يبرز بأشكال مأساوية خطيرة"[1].

فبدأ المنطلق يفتتح بتساؤل نراه ملائماً لفهم ما سيأتي: إذا ما كان الاستغراب رؤية تتجه نحو الآخر عندما تتضح أمامنا ثنائية (الأنا) الجغرافية- الشرق- والآخر المعني بالقراءة (الغرب) فإن هذا الآخر بالضرورة ينبغي أن تربطنا به علاقة من نوع ما، إمّا أن تكون علاقة تطابق أو تضاد أو تساوي أو حتى افتقار ورغبة في التعرف على هذا الآخر إذاً ما هي صورة هذا الآخر؟ وكيف يتسنى لأي منّا أن يحدد عوالم هذه العلاقة؟! [2].

ليست المسألة بهذه البساطة كما أنها ليست معقدة؟ إنها نهج (النخبة) في تحديد صورة أو طبيعة تلك العلاقة، وعندما نقول (النخبة) نعني بذلك انها فئوية نخبوية تقع على عاتق من يستطيع فرز المواقف والتصدي للمتغيرات والتعرف على أو الكشف عن ذلك (الآخر).

(١) الاسلام والعصر، تحديات وآفاق، د.محمد سعيد رمضان البوطي، د.طيب تيزيني، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م : ١٢٤.

(٢) للتوسع في هذا الطرح التنظيري، ينظر على سبيل المثال: الطاهر لبيب في (صورة الآخر، العربي ناظراً ومنظوراً إليه)، بيروت، ط١، ١٩٩٩م: ٧٥.

من هنا عدت ابحث في مرجعيات فكرنا لنؤسس أو نسير على ما أسسه غيرنا فرأينا أن نقارب هذا المصطلح في حدوده الفكرية العقائدية، ذاك أن الاستشراق كان ينهض على منطلقات عديدة وله آثار متنوعة [١]، فبالضرورة سينهض أو نهض (الاستغراب) على منطلقات مقاربة إذا ما قلنا متطابقة لذا يتضح أمامنا الجانب الديني الذي لاقى ما لاقاه من تجاوز الاستشراق واقتحام الدين تحت ذريعة العلم والتعرف والكشف.

إنّ القراءة المتأنية لفكرنا الإسلامي وتاريخنا– الذي سمح إهمالنا له بمصادرة هويتنا– ستجعلنا على عتبة ماضٍ مشرّف خيبنا آماله وأطفأنا جذوته، والنص جاء في سنن الترمذي: ((عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه زيد بن ثابت قال: **أَمَرنِي رسَوُلُ اللّهِ (ﷺ) أنْ أتَعَلَّمَ لهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كتابِ يَهُودَ قالَ إنِّي واللَّهِ ما آمَنُ يَهُودَ على كتابي قالَ فَمَا مَرَّ بي نِصْفُ شَهْرٍ حتَّى تعلَّمْتُهُ لَهُ قال فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كانَ إذا كَتَبَ إلى يَهُودَ كَتَبْتُ إليْهِمْ وإذا كَتَبُوا إليْهِ قرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ))** [٢]، ولا نحسب وقفتنا عند هذا النص النبوي إلا وقفة المتأمل الذي يرى أمامه نصاً تعبدياً عقائدياً ووثيقة ارشادية تعليمية تنأى بأفكارها لتصبح صيرورة (النخبة) في اعدادهم الاعداد الصحيح، فالرسول (ﷺ) القدوة والقيادي ادرك بوعيه القيادي ضرورة تهيئة افراد يقع على عاتقهم مسؤولية حماية هذا الدين فانتخب زيد بن ثابت (رضي الله عنه) ليتعلم لغة يهود فدلالة الفعل (امرني) تهيأ صورة هنا الانتخاب الواعي، والنخبة (على وفق هذه الرؤية) ينبغي أن تتوافر فيهم صورة نجاح هذا الاختيار، ووعي القيادي يتضح في قوله الرسول (ﷺ): ((اني والله ما امن من يهود على كتابي)).

إن أولى مقومات الحوار مع الآخر وأهمها تتضح بامتلاك لغته؛ لأنها شرط مهم من شروط التواصل لكنها لا تنجح من غير ان تتطابق مع الاختيار المناسب، "ولهذه

(١) ينظر: الاستشراق، د.مازن بن صلاح مطبقاني، استاذ مساعد قسم الاستشراق، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، الموقع على الانترنت مكتبة صيد الفوائد: http://www.saaid.net/book/open.php.

(٢) سنن الترمذي ، وهو الجامع الصحيح ، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٩٧هـ) ، ضبطه وصححه : خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط٣ ، ٢٠٠٨م.: ٣٥١/٩.

الأسباب حق للعرب أن يفخروا بانتمائهم الإسلامي، فالعربية لسان الإسلام ووعاء ثقافته ولغة كتابه وسننه، والعرب هم عصبة الإسلام، وهم الذين بعث فيهم رسول الله (ﷺ) من أنفسهم يتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة"[1]، ففي قصيدة طويلة يؤكد حسان بن ثابت (رضي الله عنه) (الداعية) أو (الاعلامي) الموجه للسامع (للمسلم) على ضرورة الاتصال لا الانفصال، ونعني أن تكون هناك ثوابت ينطلق منها المسلم عربياً كان أم غير عربي فالمسلم يحاكي اعلاما هم بالضرورة قادة واعلاماً يقتدي بهم يتصل ويتواصل معهم، إذ يقول في مفتتح قصيدته:

هل المجدُ إلا السؤدد العود والندى — وجاه الملوك واحتمال العظائم

نصرنا وآوينا النبي محمداً — على انف راضٍ من قعد وراغم

بحي جريد اصله وذماره — بجابية الجولات وسط الاعاجم [2]

فالمجد والسؤدد في معطيات الإنسان المادي تقترن بالملوك وحياتهم؛ لكنه يقدم نقلة نوعية ناسبت التغير الذي شهده العالم الإسلامي، إذ يقول:

لنا الملك في الإشراك والسبق في — ونصر النبي وابتناءُ المكارم

بني دارم لا تفخروا ان فخركم — يعود وبالا عند ذكر المكارم [3]

وهذه سمة العربي المسلم، إذ جمع فضلين، فله الشرف في الماضي حضارة وتراثاً يفخر به، وعلا هذا الشرف عندما كرّمهم الله بالإسلام [4].

---

(١)الحوار الذات والاخر، د.عبدالستار الهيتي، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: ١٢٨.

(٢) ديوان حسان بن ثابت الانصاري، تحقيق: عبدالله سندة، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م : ٢٢٩.

(٣) م.ن: ٢٤٩.

(٤) ينظر: الإسلام والآخر... رؤية في علم الاستغراب، محمد فتحي النادي، الموقع على الانترنت: http://www.alarabiya.net/views.

إنّ لغة الانفصال تعني أن يتحول المسلم إلى ليبرالي يشهد اللحظة الآنية وينفصل عن ماضيه و"تخريخ الرجل العربي العصري– الذي– لا يرجع تاريخه إلى أكثر من خمسمائة سنة حين شرع الأوروبيون يعتمدون المعارف العلمية بدلاً من العقائد الموروثة"[١]، وهي ما يسعى الغرب إلى تحقيقه من ضياع للعربي ولاسيما العربي المسلم.

إنّ الاتصال بالماضي على وفق هذه الرؤية لا يعني أن ينسلخ المسلم عن حاضره وينتخب زاوية أو ركناً يأوي إليه حالماً بعودة الماضي، فالماضي لا يعود لكنه ينهض وشتان بين عودة الماضي وبين نهضته ان حلم العودة يحول الإنسان إلى جسم عائم كان أن الانفصال عن الماضي يعمق من ضياعه.

سمات النخبة:

لما كان حسان بن ثابت (رضي الله عنه) الناطق باسم الدين الإسلامي والمنتخب من الرسول (صلى الله عليه وسلم) في قوله: ((**ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله (ﷺ) بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسّان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مقولٌ بين بصرى وصنعاء. فقال: كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال: إنّي أسلك منهم كما تسلّ الشّعرة من العجين**))[٢]؛ لذا ارتأينا أن تكون منطلقات رؤية الآخر (الكافر) نابعة من النص الشعري بوصفه أطر حوادث حقيقية فضلاً عن كونه استطاع أن يصمد عبر السنين ويصل الينا، ومن هذا المنطلق نقارب صورة الاخر (الكافر) وموقف (الانا) منه في عدّة منطلقات منها ما يسلط الضوء على المسلم في بنائه المعرفي والعقائدي والفكري والجسماني ومنها ما يتجه نحو الاخر ليحاوره أو يحاججه أو يهجوه أو يدعوه كيما تنتهي علاقة الانقطاع معه بوصفه اخر معادي ويتحول إلى (أنا) صادقة تتحد في صيرورتها مع (انا) المسلم في جدلية لا تغيب عن نسق جماعة (نحن) (هم) تلك هي صيرورة الحياة الفانية والاخرى الباقية، وعندما نقول الاخر (الكافر) فإننا نؤكد أنّه لا يخالفنا اللغة قدر ما يخالفنا العقيدة كما سنوضح.

---

(١) الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، د.محمد عابد الجابري، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م : ٣٦.

(٢) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر– بيروت، ط٢، د.ت : ١/ ٣٩١.

١- مقومات لسانية:

إنّ اللغة بلاشك هي وسيلة التواصل الرئيسة بين الناس جمعياً، وهي إحدى مقتنيات الترسيمة الشهيرة لياكوبسن حين عدّ وظائف نظريته القائمة على وجود طرفين (الباث) و(المستقبل)[١]، ولولا اللغة لانقطعت سبل التفاهم مع الاخر لاسيما عندما كانت الحياة بسيطة قبل أن تغزوها التقنيات الحديثة. وحسان (رضي الله عنه) في أكثر من موضع يفاخر ويتفاخر بصفاء لسانه، يقول في همزيته الشهيرة التي يمدح فيها الرسول (ﷺ):

لساني صارم لا عيبَ فيه وبحري لا تكدره الدلاء [٢]

ويقول:

من للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت [٣]

ولسان الشاعر هو لسان النخبة، والنخبة تعدّ العدة للقاء الآخر، وهي مدركة حقيقته واللسان يأتي ذكره في مواضع متعددة مقترناً بالسيف؛ لأنّهما معاً، عدّة المسلم، فالسيف لا يستطيع أن يحقق حضوره بعيداً عن الكلمة كما أن الكلمة لا تقدم نجاحها بعيداً عن نصرة السيف، يقول حسان بن ثابت (رضي الله عنه):

لساني وسيفي صارمان كلاهما ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي [٤]

فالداعية يجمع مرتكزات مهمة في شخصيته كي يكون صورة ناجحة للانا التي تنهض بمسؤوليتها كامتلاكه لغة الحوار، وثقافة الاسئلة وسرعة البديهية مقترنة بالجانب العسكري (اعداد العدّة)، و"اللغة تزود الفرد بادوات التفكير، وما وصل المجتمع البشري إلى ما هو عليه الآن إلا من خلال التعاون الفكري المنظم لحياته، ولا يأتي هذا التعاون

(١) ينظر: قضايا الشعرية، رومان ياكوبسون، ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط١، ١٩٨٨ : ٣٣.

(٢) ديوانه: ١٦.

(٣) م.ن: ٤٧.

(٤) م.ن: ٨١.

الفكري إلا بالتفاهم وتبادل الافكار بين افراد المجتمع، والوسيلة الميسورة لهذا التبادل والتفاهم هي اللغة"[١].

ان حسان يهوّن من فقده بصره بامتلاكه ما يعادل النظر يقول:

ان يأخذ الله مني عيني نورهما ففي لساني وقلبي منها نور
قلب ذكي وعقل غير ذي رذل وفي فمي صارم كالسيف مأثور [٢]

وتدافع هذه (الانا) الواعية عن الجماعة فلا تتفرد بعيداً عنهم ويعلم الجميع أنها تتحدث باسمهم يقول:

الا ابلغ المستمعين بوقعة تخف لها شمط النساء القواعد
وظنهم بي أنني لعشيرتي على أي حال كان حامٍ وذائد
فإن لم احقق ظنهم بتيقن فلا سقت الاوصال مني الرواعد
ويعلم اكفائي من الناس انني انا الفارس الحامي الذمار المناجد [٣]

ولا يعني هذا انها رؤية قومية أو قبلية فان المنطلق الدين لا القومية كما ذكرنا يقول حسان (رضي الله عنه):

لو كنت منّا لم تخالف ديننا وتبعت دين عتيك حين تشهدا
دينا لعمرك ما يوافق ديننا ما استن آل بالبدي وجودا [٤]

وهذه العلاقة من أخطر ما تواجهها الانا من مخاطر فـ (الانا) محاصرة باعدائها والآخر لا يكون اقليمياً بعيداً عنها دائماً، إذ قد تنسلخ الانا على ذاتها تحت ذرائع متعددة فتشكو آنذاك صراعا اثر صراع، صراعا مع الآخر الأجنبي البعيد، وصراعا مع الانا

(١) أساليب الاقناع في القرآن الكريم، د.معتصم بابكر مصطفى، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م : ٤٤.
(٢) ديوانه: ١٠٣.
(٣) م.ن : ٧٥.
(٤) م.ن: ٩١.

المنسلخة عنها، فتحاول حواره ودعوته واستقطابه "ومن أشد مظاهر أزمة الحوار الاسلامية حينما يغيب الحوار، ويحل مكانه الصراع بأدوات عنيفة بالسيف والمدفع... الخ"(١).

٢- اعلام نقتدي بهم:

لا ينطلق الفرد في حواره بعيداً عن ثوابت يتحرك منها ويعود إليها ويركن إلى تلك الثوابت، وحسان بن ثابت (ﷺ) يستحضر شخصية الرسول (ﷺ)، وشخصية أبي بكر الصديق (ﷺ) صاحب الغار، وينطلق من شخصية النبي (ﷺ) والصحابي ثم يستمر في محاولة متجددة من الانا لزرع ثوابت فكرية للمسلم وهذه معلومة مهمة بالنسبة للداعية في اعتماده فكراً سليماً يصدر عنه، فضلاً عن تاريخ يعيه، ويحاول ايصاله إلى الآخر، واستحضار شخصية الرسول (ﷺ) والصحابة (ﷺ) له دوره الفاعل في استقطاب الآخر، إذا ما وعى اخلاقهم وصفاتهم وسار على نهجهم (٢). يقول حسان (ﷺ):

لولا الرسول فاني لست عاصيه ... حتى يعذبني في الرمس ملحودي

وصاحب الغار اني سوف احفظه ... وطلحة بن عبيد الله ذو الجود (٣)

واشد ما تعانيه الانا الم الاستحضار ومرارة التذكر عندما يمضي هؤلاء الاعلام، ويصبحوا ذكرى تؤرق الانا وتقض مضجعها يقول حسان (ﷺ):

ذاكم احمد الذي لا سواه ... ذاك حزني معا وسروري

ثم جودي للخزرجي بدمع ... سيدا كان ثم غير نزور

قد أتانا من قتلهم ما كفانا ... فبحزن نبيت غير سرور (٤)

---

(١) ((أزمة الحوار الاسلامي- الاسلامي))، زكي الميلاد، مجلة الكلمة، ع٨، السنة الثانية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م: ٣٥.

(٢) ينظر: عناصر القوة في الاسلام، السيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م : ٨٩.

(٣) ديوانه: ٨٤.

(٤) م.ن: ١١٢.

ولا يتسع المكان للحديث عن ألم الذكرى، إذ تشيد مرثيات حسان صرحاً للانا ينبغي على المسلم أن يعود إليه فيقرؤه ويمعن الفكر فيه، إذ من أجمل صور التذكر ذلك الحزن الذي بثه حسان (رضي الله عنه) عند حديثه عن مؤتة ومن نال الشهادة فيها يقول:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا   بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
هم جبل الاسلام والناس حوله   رضام إلى طودٍ يروق ويقهر
بهم تكشف اللاواء في كل مأزق   عماسٍ اذا ضاق بالقوم
بهاليل فيهم جعفر وابن امه   ومنهم احمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم   عقيل وماء العود من حيث يعصر (١)

فـ(جبل الإسلام) صورة صادقة لسنام الاسلام والصرح العالي الذي نقتدي به (وجعفر، وحمزة، والعباس...) اعلام أمتنا الذين رحلوا وتركوا فينا حزن الذكرى.

ويصرح في موطن آخر أن الفارق بينه وبين عدوه فارق عقائدي ديني، يقول:

تفاقد معشر نصروا قريشا   وليس لهم ببلدتهم نصير
هم أوتوا الكتاب فضيعوه   فهم عمي من التوراة بور
كفرتم بالقرآن، وقد اتيتم   بتصديق الذي قال النذير (٢)

فاصحاب الكتاب (التوراة) لم يحفظوا العهد الذي بينهم وبين الله عزّوجل ولم يحملوا الامانة التي أوكلها الله اليهم فـ(ضيعوه) وضياع التوراة لا تحريفها فحسب بل الاساءة اليها واهمالها وعدم العمل بمقتضاها، فشتت سوء الفهم جمعهم وفرق بينهم وعمت عليهم دلالة الفعل (تفاقد) حتى فقد بعضهم بعضا وتلاشت احلامهم واهواءهم فيما بينهم.

وخطاب النخبة ينبغي أن ينبني على اظهار صدق التعامل والابتعاد عن افتعال صور للتواصل لا حقيقة لها وفي هذا يقول حسان:

---

(١) م.ن : ١١٠.
(٢) ديوانه : ١٢٠.

يـا أيهـا النـاس ابـدوا ذات انفسـكم لا يستوي الصدق عند الله والكذب (١)

إن اظهار الود واخفاء العدواة منهج لا يخفى على الفطن ادراكه والنخبة تدرك تماماً ان الرياء نمط سياسي يبدي فيه صاحبه غير ما يبطن، إن (انا) المسلم تحاكي (الآخر) الكافر في أكثر من موضع فتارة تنعتهم باهمالهم الكتاب المقدس (التوراة) وتارة تعيّرهم بعصيانهم الرسول (ﷺ) فاليهود اعداؤنا، وعداوتهم قديمة مبيتة لا تخفى على احد يقول حسان (رضي الله عنه):

ابلـغ أبـا الضـحاك ان عروقـه اعيـت علـى الاعـلام ان تتمجـدا

اتحـب يهـدان الحجـاز وديـنهم كبـد الحمـار، ولا تحـب محمـدا

واذا انشـا لـك ناشـيءٌ ذو غيـرة فـد الفـؤاد امرتـه فتهـورا

لـو كنـت منـا لـم تخـالف ديننـا وتبعـت ديـن عتيـك حـين تشـهدا

دينـا لعمـرك، مـا يوافـق ديننـا مـا اسـتن آل بالبـدي وخـودا (٢)

إن (ابا الضحاك) شخصية جاوزت حقيقتها التاريخية فهو على كونه واحداً من المنافقين الذين بيتوا للرسول (ﷺ) والمؤمنين العداوة، وناصر بني قريظة، خلدته ابيات حسان (رضي الله عنه) ووثقت معه حقيقة تاريخية تؤكد أن حركة اليهودي لا تتم ولا تكتمل من غير اعوان قدموا له الولاء والطاعة فابناء جلدتنا هم انصار واعوان لعدونا، من هنا يخترق العدو صفوفنا ويحاول ان يشتت جمعنا، وهنا يبدي حسان عجبه من موقفهم بقوله متعجباً (اتحب يُهدان الحجار ودينهم كبد الحمار، ولا تحب محمدا) فالمنافق يبدي كُرهه للرسول (ﷺ) ويعادل به حباً لليهدان (اليهود) في صورة محيرة؛ لأنّه يشذ عن الجماعة ويلتحق بركب اليهود (لو كنت منا لم تخالف ديننا)، فالتواصل كما ذكرنا والانقطاع انما يقوم على الدين والعقيدة، ولا ينهض على الاحساب والامكنة.

إن (الآخر) عدوي ما لم يظهر انتماءه لي، وهو مهجو وان كان ذا رحم فالرحم والنسب والقربى في الدين لا في القومية أو الجغرافية والبعد هو البعد عن الانتماء إلى

(١) م.ن: ٢٤.

(٢) ديوانه : ٩٠.

الدين، ان (الاخر) يسعى جهده إلى النيل من (الانا) في صراع لا ينفك، والاطاحة بـ(الانا) تبدأ بتشويه صورتها ولا تنجح محاولة تشويه (الانا) من غير المساس بحالها ورجالاتها وفكرها يقول حسان (رضي الله عنه):

لقد لعن الرحمن جمعا يقودهم دعي بني شجع لحرب محمد

مشوهم لعين كان قدما مبغضا يبين فيه اللؤم من كان يعتدي

فدلاهم في الغي حتى تهافتوا وكان متصلا امره غير مرشد (١)

اليس الاخر المهجو يدرك تماماً ان النيل من شخص الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعني تقويض دعائم الامة الاسلامية؟ انه يدرك تماماً هذه الحقيقة ويمهد لها بالانساب تارة، وبالهجاء تارة اخرى فان عجزت امام الحيلة فتح باب الحرب كيما ينال من (الانا) تحت ذرائع وحجج واهية يقول حسان (رضي الله عنه) مخاطباً ابا سفيان:

لقد علم الاقوام أن ابن هاشم هو الغصن ذو الافنان لا الواحد

وما لك فيهم محيد يعرفونه فدونك فالصق مثل ما لصيق القرد

فدلالة الفعل (علم) الذي اقترن بـ(لقد) حقق تأكيداً في هذا التركيب وصرحت لفظة (الاقوام) باقترانها بـ(ال) التعريف أن الآخر يعلم عنا كل شيء فهو يمتلك حمولة معرفية ينطلق منها فلا يفترش الهواء ولا يتحدث من العدم، انه يحاول استفزاز (الانا) واستنفارها والنيل منها حتى لو كان هذا الاستفزاز صورا كاريكتورية تتصدرها صحف دنماركية فلا فرق بين أن يكون الموقف نابعاً عن هجاء يمس شخص الرسول (صلى الله عليه وسلم)، اذ يتشكل بأشكال متعددة ويأخذ صورا متنوعة فيظهر حقد (الآخر) ويعبر عن كرهه ورفضه للانا يقول حسان (رضي الله عنه):

ما سبني العوام إلا لأنه اخو سمك في البحر جار التماسح

---

(١) م.ن : ٩٢.

(٢) ديوانه : ٩٨.

لئـــيم دنـــي فـــاحش وابـــن فـــاحش لئـــيم العـــروق اصـــله متنـــازح [(١)]

إن الدفاع او النصرة للنبي (ﷺ) مقترنة بهجائه فكلما تطاول اقزام في محاولة عقيمة للنيل من شخصه (ﷺ) تطاول رد وتمسك ونصرة دافعت عنه (ﷺ):

نبـــي اتانـــا بعـــد يـــأس وفتـــرة من الرسل والاوثان في الأرض تعبد

فأمســـى ســـراجا مســـتنيراً وهاديـــاً يلـــوح كمـــا لاح الصـــقيل المهنـــد

وانـــــذرنا نــــاراً وبشــــر جنــــةً وعلمنـــا الاســـلام فـــالله نحمـــد [(٢)]

كما أن النبي (ﷺ) لاقى صوراً للصد شتى والواناً من العذاب والايذاء قولاً أو فعلاً من ذوي رحم أم ممن هم اباعد القوم عرقاً وديناً، يقول حسان (رضي الله عنه) راداً صمت الهجاء في كلمات يستضاء بظلها:

هجـــوت محمـــداً فاجبـــت عنـــه وعنـــــد الله فـــــي ذاك الجـــــزاء

اتهجـــوه ولســـت لـــه بكـــفء فشـــــركما لخيركمـــــا الفـــــداء

هجـــوت مباركـــا بـــراً حنيفـــاً امـــــين الله شـــــيمته الوفـــــاء

فمـــن يهجـــو رســـول الله فعلـــم ويمدحـــــه وينصـــــره ســـــواء [(٣)]

اليست هي كلمات جاوزت فترتها الزمنية وجاءت في اوان مناسب لها فكانت وتمثلت ردا واعياً من النخبة الواعية؟ ان الهجاء أو النصرة للرسول (ﷺ) تتساوى اذا ما صدرت عن الآخر العدو، فهو عدوي وان لم يظهر عداوته، وهو يترقبني يحاول النيل مني للمساس من ثوابتي وعقيدتي وتاريخي الذي انتمي إليه [(٤)].

---

(١) م.ن : ٥٣.

(٢) م.ن: ٥٤.

(٣) ديوان : ١٦.

(٤) ينظر: دعوة الجماهير، مكونات الخطاب، ووسائل التسديد، عبدالله الزبير عبدالرحمن، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م : ١١٢.

والنسب لا يحول دون تحقيق (الانا) لمطلبها فإذا ما انفصل النسب متفرداً بعيداً عن نسق (الانا) تحول آنذاك إلى (الآخر) المعادي وعدّ النيل منه مدعاةً للتفاخر يقول حسان (رضي الله عنه):

قتلنا سراة القوم عند رحالهم فلم يرجعوا الا بقاصمة الظهر
قتلنا ابا جهل وعتبة قبله وشيبة يكبو لليدين وللنحر
وكم قتلنا من كريم مُرزّإٍ له حسب في قومه نابه الذكر
بكفرهم بالله والدين قائم وما طلبوا فينا بطائلة الوتر (١)

فالمعيار للالتحاق بالركب والسير على نهج الجماعة ان يلتزم بالدين فـ(الدين قائم) والالتزام هو الحد الفاصل "انه التزام العقيدة الاسلامية بكل ما تنطوي عليه من عالمية وشمول، وصدور عن تصوراتها للكون والإنسان والحياة، فهو ليس طبقياً ولا فئويا، ولا محبوساً على قضايا معينة، وجمهور خاص، وزمان بعينه، إنّه التزام بقضايا انسانية عامة لها صفة الديمومة والخلود"(٢)، والمسلم الملتزم يدرك حقيقة الرابط الديني ولا يعادله باي رابط نسباً كان ام قربى رحماً أم مودة.

وتنطلق مقولة (الانا) من افتخارها بالماضي وافتقارها له، ولسان حالها يقول: (لنا ماضٍ ننطلق منه) فهذه انا الشاعر تحي في نص طويل رؤيتها للحياة ومعرفتها لعدوها يقول:

ويعلم اكفائي من الناس انني انا الفارس الحامي الذمار المناجد
وما وجد الاعداء في غميزة ولا طاف منهم بوحشي صائد
وان لم يزل لي منذ أدركت كاشح عدو اقاسيه، وآخر حاسد (٣)

(١) ديوانه: ١١٦.

(٢) ((الالتزام الادبي في المفهوم الاسلامي))، وليد قصاب، آفاق الثقافة والتراث، الامارات العربية المتحدة، السنة السادسة، ع٢٢-٢٣، تشرين الأول، ١٩٩٨: ٩٥.

(٣) ديوانه: ٧٦.

إلى أن يقول:

فـاورثني مجـداً ومـن يجـن مثلهـا بحيث اجتناها ينقلب وهو حامد (١)

والقصيدة طويلة وفيها وقفات عديدة تؤكد عدم انسلاخ (الانا) عن ثوابتها وامجادها وماضيها، إذ لا ينبت النبت من غير أرض تستقبله وتمتد فيها ضرورة و(الانا) تبقى قلقة من غير هذه الثوابت لا تقر ولا تستقر ما لم تهيء لنفسها ثوابت تنطلق منها ورؤى تدافع عنها وتموت في سبيل تحقيقها.

وفي غياب هذه الثوابت او ضياعها تبين خيبة (الانا) وخسرانها ويصرح الشاعر بهذه النتيجة في قوله:

لقد خاب قومٌ غابَ عنهم نبيّهم وقدس من يسري اليهم ونعتدي

ترحل عن قوم فضلت عقولهم وحلّ على قومٍ بنور مجدد (٢)

وعند هذا الملمح المهم تكتمل صورة الانا في سعيها، إذ يشكل غياب الثوابت انسلاخاً وافتقاراً من خلاله تعلن الانا خوفها وقلقها فاصبح الفعل الماضي (خاب) صورة للمتؤمل لهذه الانا وحلّ الفعل المبني للمجهول (قُدس) محل هذه الخيبة لكنه فعل سلبي في سياق النص، فالتقديس اصبح للوافدين فمن يسري إلى هؤلاء القوم سينال ما يريد لا لكرمهم بل لتشتتهم وضياعهم.

---

(١) م.ن : ٧٦.

(٢) م.ن: ٥٨.

وبعد:

فهذه الدراسة حاولت ساعية تسليط الضوء على صورة الانا (المسلمة) وموقفها من الآخر (الكافر) منطلقة من نصوص الشاعر حسان بن ثابت (رضي الله عنه) الإسلامية، في محاولة جادة للتعرف على موقف الاسلام من الآخر ولاسيما في نصوص الشعر الإسلامي، وتفتح الباب لقراءة التراث او اعادة قراءته انطلاقاً من المفاهيم المستحدثة والتعرف على أصولها الفكرية والعقائدية.

Occidentalism between past and present

Reading Hassan Ibn Thabits Poems

Dr.Iman Khaleefa Hamed

Abstract

This reading sets out from data of aterm filled. The cwttaral areua, in that the term Orientalism, with multiple motions, and its slight knowledge is to be anatural reactions to orientalism in order to explore the western ambiguities. Acquaintance with their culture and dialogue with them.

This term is somehow new concevnce with answering those who refase the Muslim for his identity or doctrine, so that, form this point, this paper discusses the Muslim figare as an (ego) and the polytheis as (the other), setting out from the poem of Hassan Ibn Thabit as the prophet Mohammeds Poet